البيت المرواني

عمر بن عبد العزيز

٩٩ـ١٠١هـ / ٧١٧ـ٧٢٠م

هـو **عمـر بن عبـد العزيز** بن مروان بن الحكم بـن أبي العاص بن أميـة (٧١٧م - ٧٢٠م) ثامن الخلفاء الأمويين، ويرجع نسـبه من أمه إلى عمر بن الخطاب رضـي الله عنه حيث كانت أمه هي أم عاصـم ليلى بنت عاصـم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصـبح الخليفة عمر بن الخطاب جده. ولد في المدينة النبوية وقد تلقى علومه وأصول الدين فيها على يد صالح بن كيسان ، واستفاد كثيراً من علمائها، ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسـمى دير سـمعان وظل والياً عليها حتى سـنة ٨٦ هـ. لقب بخامس الخلفاء الراشـدين لسـيره في خلافته سـيرة الخلفاء الراشـدين. تولى الخلافة بعد سـليمان بن عبد الملك في دمشـق سنة ٩٩ هجرية وقد سمي الخليفة العادل لمكانته وعدله في الحكم. في ربيع الأول من عام ٨٧ هـ ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة النبوية، ثم ضـم إليه ولاية الطائف سـنة ٩١ هـ، وبذلك صـار والياً على الحجاز كلها، واشـترط عمـر لتوليه الإمارة ثلاثة شـروط للعدل فوافق الوليد عليها، وباشـر عمر بن عبـد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحاً شـديداً. ومن أبرز الأعمال التي قام بها في المدينة، وهو عمل مجلس للشـورى يتكون من عشر فقهـاء مـن المدينة، ثم عينه الخليفة الأموي سـليمان بن عبـد الملك وزيراً في عهده - كمـا تقدم في ترجمة سليمان - ، قال عنه سفيان الثوري: كخامس الخلفاء الراشدين (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان ،وعلي، وعمر بن عبد العزيز).

لما وارى الناس جثمان سليمان، قام رجاء بن حَيْوة أحد علماء المسلمين، فأعلن على المنبر أن خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين للعالَم الإسلامي، عمر بن عبد العزيز. فلما تلقى عمر خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو فـي الصـف الأول، فأقامه العلماء على المنـبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمـام الناس، فأتى ليتحدث فما اسـتطاع أن يتكلـم من البكاء، قال لهـم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكـى الناس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد. يقول رجاء ابن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسـجد بني أمية ونحن نبكي، هل تبكي معنا !! ثم نزل، فقربوا له المَراكب والموكب كما كان يفعل بسـلفه، قال: لا إنما أنا رجل من المسـلمين، غير أني أكثر المسلمين حِملاً وعبئاً ومسئولية أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسـلمين. نزل عمر في غرفة في دمشـق أمام الناس؛ ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد ﷺ - وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً، ومن تركسـتان شـمالاً، إلى جنوب إفريقيا جنوباً - قال: فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسـلّمي حُليّـك وذهبـك إلى بيت المـال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالي أمتعك متاعاً حسـناً واذهبـي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، الحياة حياتُك، والموت موتُك، وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفَعَه إلى ميزانية المسلمين [1].

١ - الشيخ د. عائض القرني، عمر بن عبد العزيز (خطبة جمعة).

سياسة عمر بن عبد العزيز العامة

أولاً : الخوارج:

سلك عمر بن عبد العزيز مع الخوارج المسلك الصحيح الذي تبعه سلفنا الصالح كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما، ويبدو أن عمر قد طمع في رجوع هؤلاء الخوارج إلى جادة الطريق، ولذلك لم يترك لهم شبهة إلا كسرها وبين زيفها وكشف عوارها، ولم يجادلهم في الحق الذي معهم ولكنه طلب مهلة إلا أنه مات قبل انتهائها، وعندما استخدم خوارج العراق القوة ضد واليه عبد الحميد **وتمكن الخوارج من دحر جيش الوالي**، أسرع عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى الخوارج مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش من أهل الشام، وكتب إلى عبد الحميد:

قد بلغني ما فعله جيشك، جيش السوء، وقد بعثت مسلمة فخل بينه وبينهم، وتقدم مسلمة على رأس قواته إلى حيث عسكر الخوارج، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار جيش الخلافة. **إن اضطرار عمر إلى استخدام القوة إزاء فئة من الخوارج**، لم يدفعه أبداً إلى تطبيق أسلوب الشدة تجاه كل الخوارج، فما دام خصمه مستعداً للحوار، فلا داعي أبداً لإراقة الدماء.

لقد كان السبب المفضي لقتال الخوارج: هو أنه لم يأمر عمر بن عبد العزيز بقتالهم لما اختلفوا معه في الرأي ولا عندما عارضوه وسبوه، بل صبر عليهم لعل الله أن يهديهم إلى الصواب، **ثم لما وصلوا إلى مرحلة خطيرة وهي أخذ المال وإخافة السبيل وسفك الدماء عند ذلك أمر بقتالهم.**

بيد أن عمر بن عبد العزيز رد متاع الخوارج إلى أهليهم، فهو لم يسب نساء الخوارج وذراريهم ولم يستحل أموالهم، بل أمر برد متاعهم إلى أهليهم، فقد كتب إلى عامله في الخوارج: فإن أظفرك الله بهم وأدالك عليهم فرد ما أصبت من متاعهم إلى أهليهم، وهذا رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيهم في عدم سبي ذرية ونساء الخوارج، وعدم استحلال أموالهم .

وكان موقف الخليفة هو أن يحبس أسرى الخوارج حتى يحدثوا خيراً؛ فلما قاتلهم، وقتل منهم من قتل، وأسر منهم من أسر، أمر عمر بن عبد العزيز بسجنهم حتى يحدثوا خيراً، من الرجوع إلى الحق والتخلي عن أفكارهم الضالة، فلقد مات عمر بن عبد العزيز وفي حبسه منهم عدة . فهذا منهج وفقه عمر بن عبد العزيز في التعامل مع المعارضين من الخوارج في عهده[1] .

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز)، النسخة الرقمية .

خروج شوذب الخارجي سنة ١٠٠ هـ

جَرْجَرَايا: بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات؛ وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكُتّاب والوزراء، ولها ذكر في الشعر كثير؛ قال أبزون المَمَّاتي:

ألا يا حبَّذا يوماً جَرَرْنا ذُيُولَ اللهو فيه بجَرْجَرايا

وممن ينسب إليها محمد بن الفضل الجرجراي وزير المتوكل على الله بعد ابن الزيّات، ثم وزر للمُستعين بالله، ثم مات سنة ٢٥١. وكان من أهل الفضل والأدب والشعر؛ ومنها أيضاً جعفر ابن محمد بن الصباح بن سفيان الجرجراي مولى عمر بن عبد العزيز، نزل بغداد وروى عن الدَّرَاوَرْدي وهشيم، روى عنه عبد الله بن قَحطبة الصلحي وغيره؛ وعِصَابة الجرجراي واسمه إبراهيم بن باذام، له حكايات وأخبار وديوان شعر، روى عنه عون بن محمد الكندي. الحموي، معجم البلدان، ج٢ ، ص ١٢٣. قلت: وعرفت جرجرايا في الأثر أنها من أرض جوخي.

استمر **الخوارج** في حربهم **للدولة الأموية** أحياناً ينشطون، وفي الغالب تتغلب عليهم الدولة بالقوة وتكسر شوكتهم إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فدخل معهم في محاورات ونقاشات واستخدم معهم القوة عند اللزوم مثل ما فعله مع **شوذب الخارجي**، وكان عمر بن عبد العزيز يذم الجدال المذموم ويناظر ويجادل بالتي هي أحسن.

١ الخارجي شوذب واسمه بسطام من بني يشكر، يخرج **بجوخي** في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة،

٢ كتب **عمر بن عبد العزيز** إلى عبد الحميد والي العراق، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صليباً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً وأوصه بما أمرتك به، فعقد عبد الحميد **لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي** في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر بن عبد العزيز.

٣ تمكن **الخوارج** من دحر جيش الوالي عبد الرحمن، لذا أسرع **عمر بن عبد العزيز** فأرسل إلى **الخوارج مسلمة بن عبد الملك** على رأس جيش من أهل الشام، الذي استطاع أن يدحر قوات الخوارج .

ثانياً : الشيعة

تذكر في الاصلاح كاسم لكل من فضل علياً رضي الله عنه، على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً وأن أهل بيته أحق بالخلافة، وهو ما لم تأت بها النصوص الصريحة من القرآن والسنة، وقد تحدثت عن الشيعة بالإيجاز في كتابي أطلس الأديان « تاريخ ، عقائد، انتشار » .

قال د. الصلابي: **والشيعة فرق عديدة** منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونه ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك ومن أهم فرقهم: الكيسانية، والسبئية، والإمامية وغيرها. وكان لعمر بن عبد العزيز أقوال في الشيعة الغلاة، فقد قال عمر بن عبد العزيز: إني لا أعرف صلاح بني هاشم وفسادهم بحب كُثير عزة (الشاعر)، فمن أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة، وجاء عمر بن عبد العزيز كتاب من عامله على الكوفة يخبره بسوء طاعة أهلها، فرد عمر: لا تطلب طاعة من خذل علياً رضي الله عنه وكان إماماً مرضياً، وعن إسحاق بن طلحة بن أشعث قال: بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال: أقرئهم ولا تستقرئهم وحدثهم ولا تسمع منهم، وعلمهم ولا تتعلم منهم. فقد كان عمر بن عبد العزيز على معرفة بعقيدة كُثير الشاعر ويؤيدها ما يروى أن كُثير عزة له أبيات يثبت فيها عقيدته الفاسدة **في الغلو** في أهل البيت مثل قوله:

ألا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء

قال الذهبي قال الزبير بن بكار عن كُثير: كان شيعياً يقول بتناسخ الأرواح ويقرأ : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار، الآية: ٨) قال: وكان خشبياً يؤمن بالرجعة يعني رجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا. ولم يهتم **عمر** بالرد على ما كان يراه كُثير وغيره من الشيعة الغلاة كما اهتم بالرد على **القدرية والخوارج**، وحذر عمر بن عبد العزيز من مخالطة ومجالسة أصحاب البدع والأهواء[1].

ثالثاً : التسامح الديني مع غير المسلمين، ودعوتهم إلى الإسلام.

حيث أمر عمال الولايات بدعوة الذميين إلى الإسلام، مثل ما فعل مع الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث يدعوه للإسلام، وأنه أعطى بطريقاً ألف دينار يتألفه بها على الإسلام، ودخلت أفواج من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام .

---

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز)، النسخة الرقمية .

١ في **حقل السياسة الخارجية** طلب **عمر بن عبد العزيز** من **مسلمة بن عبد الملك** الانسحاب من أمام **أسوار القسطنطينية**، من أجل تجميد العمليات العسكرية، والمحافظة على مكتسبات الفتوح، والدفاع عنها ضد الأخطار المحدقة بها.

٢ **بروز فرقة القدرية** في عهد عمر بن عبد العزيز: وأول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، وكان نصرانياً، فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد. وكان مسلم بن يسار يتمد على هذه السارية فقال: إن معبداً يقول بقول النصارى. وقد **ناقش عمر بن عبد العزيز القدرية** وسألهم عن العلم وذلك بسؤالهم عن علم الله، فإذا أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا فقال لغيلان الدمشقي: ما تقول في العلم. قال: قد نقد العلم. قال: فأنت مخصوم اذهب الآن فقل ما شئت ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت وإن جحدته كفرت، إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر. ولعل عمر بن عبد العزيز أول من نهج هذا النهج في سؤال القدرية عن العلم، ثم صار هذا المنهج منهجاً لأهل السنة من بعده .

٣ **الخوارج** سبق الحديث عنها في الصفحة ما قبل الماضية .

٤ **الشيعة** سبق الحديث عنها في الصفحة الماضية.

٥ في **حقل الجانب الدعوي** دخلت أفواج من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام، وكذلك استجاب كثير من أمراء **السند** لدعوته، وأرسل عمر بن عبد العزيز الفقهاء إلى بلاد **المغرب** ليفقهوا مسلمي البربر في دينهم وبذل عامله إسماعيل بن عبد الله نشاطاً كبيراً في ذلك.